مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة، التي جعلتهم ينسبون كلّ ما خفي عنهم إلى التأنيث، لأنّهم رأوا في المرأة غموضاً وسحراً[1].

أمّا نحن فسنحاول، قبل الخروج «برأي نهائيّ»، أو لنقل «بافتراض علميّ»، أن نستعرض الأسماء غير الحيوانية، المستعملة في لغة العربيّ، والمعبّرة عن تفكيره، ونظرته إلى العالم وأشيائه.. وعن المنهج الذي صدر عنه في النظر إلى هذه أو تلك، وسنستعرض أسماء أعضاء الإنسان، أولاً، وأدواته وأشياءه، ثانياً، وما أثار انتباهه أكثر من غيره.

إن استعراض أسماء أعضاء الإنسان التي يتحسّسها كلّ يوم، وكلّ ساعة، وربّما كلّ لحظة ترينا كيف يختلف اللغويون في تأنيث بعض هذه الكلمات وفي تذكيرها، أو في تذكيرها وتأنيثها معاً، فبينما يجزم أحدهم بتذكير كلمة، قد نرى آخر منهم يجزم بتأنيثها، وقد نرى ثالثاً يجزم بجواز التذكير والتأنيث... دون أنْ ينسوا الإشارة، أحياناً، إلى لغات العرب.

لكنّ الباحث لا يلبث أنْ يتخلّص من كلّ هذه الفوضى، ومن ذلك الإرباك.. يتخلّص من كلّ ذلك عندما يقرأ قولهم:

«والعرب تجتريء على تذكير المؤنّث إذا لم يكن فيه علامة

---

(١) هذه الدراسة، ص: